

## الأدب الشعبي «٣»

وجهاً لوجه بين أفراد المجموعة اعتماداً على الإشارات وتعبيرات الوجه والنظرات والنبرات الصوتية المختلفة، بالإضافة إلى ما تضمنه المواجهة من تجاوب فوري ومباشر مع مصدر المعلومة من كبار السن حاملي الحكمة المتوارثة وخلاصة التجربة الفردية. فالنص المدون إذاً غير كاف للحفاظ على الأدب الشعبي بل إن التوارث الصحيح يجب أن يحوي عملية الثقافة الشفاهية بجميع عناصرها.

واليوم تعتبر مدارس النقد الأدبي المعاصر الأدب الشعبي نموذجاً أولياً يحتذى به الإبداع الأدبي لأنه ليس مجرد خطرقات مجتمعات بدائية فشلت في أن تنتج أدباً حقيقياً.

وهذه هي آخر وثامن ولادة للأدب الشعبي والتي يمكن أن نصفها بأنها ولادة تكريمية يتم فيها الاعتراف بأهمية الأدب الشعبي في أن يكون الأديب الحقيقي للأرض التي يقف عليها أدباء هذا العصر باعتباره حجر الأساس الذي يرتكز عليه البناء الفني الحديث والذي يترك بصماته على الإنتاج المعاصر لأننا لا يمكن أن ندرس نتاج الأفراد بعيداً عن معطيات المجموع.

إضافة إلى ذلك فإن التعرف على الأدب الشعبي يمهّد لنمو ثقافي مميز فهو السبيل إلى تذوق الأدب في مراحلته المتقدمة، وهذا التعرف سيؤدي إلى إحيائه وإعادة استخدامه فيعود ليتسرب مرة أخرى إلى شرايين المجتمع بطريقة تلقائية وغير منظورة ليصبح تدريجياً جزءاً من نسيج ثقافة شعب أي مجتمع وجزءاً رئيساً من مكونات فكره وأدبه.

والآن وقد توصلنا إلى فهم مشترك لمعنى كلمة شعبي معنى كلمة أدب ومفهوم الأدب الشعبي ومراحل تطوره وعلاقته بالأدب الإنساني الأوروبي وغيرها، لا بد وأن نسأل: ماذا عن التراث الشعبي العربي عموماً والخليجي السعودي على وجه الخصوص؟ كان وضع التراث الشعبي في الشرق العربي حتى وقت قريب وضعاً مؤسفاً اتسم بندرة الدارسين الأكاديميين وقلة الخبرات الميدانية وغياب المنهج والنظرية العلمية والتطبيقية الميدانية التي عن طريقها تستقيم أجزاء ومكونات تراثنا الفلكلورية.

وبدأت تجربة جمع التراث وتأصيله من الرواة والحفظة متأخرة فقد كنا نغيرنا من الشعوب - وإن جاء رد فعلنا بعدهم بقرون - نماري في أهمية التراث ونماطل في جمعه ونتمادي في إهماله حتى خفي علينا كثير من معانيه وأسدل ستار الترك والنسيان على كثير من آثاره وظل مطموراً بعيداً كل البعد عن الدراسة الصحيحة والتحليل الجاد والنظرة الموضوعية.

وهذا ما أدركه الدكتور طه حسين في بحثه عن الأدب في جزيرة العرب حيث يقول: (ولسوء الحظ لا يعني العلماء في الشرق العربي بهذا الأدب الشعبي عناية ما، لأن لغته بعيدة عن القرآن، وأدباء المسلمين لم يستطيعوا أن ينظروا إلى الأدب على أنه غاية تطلب لنفسها، وإنما الأدب عندهم وسيلة إلى الدين).



د. مervat باعشن

يستخدمه لا توجد إلا في وجدان الجماعة التي ينتمي إليها الفرد وفي المعطيات الحميمة الخاصة بشعبه.

ثم كانت للأدب الشعبي ولادة سابعة نسميها الولادة الإحيائية وهي مرحلة استنهاض حركة إحياء التراث المهمل المتجه بالضرورة إلى الطمس والاندثار بغرض إعادة التعرف على طفولة وتطور وتحولات المخيلة البشرية.

ولكن إحياء التراث هنا ليس بمثابة حفظه من الضياع فقط، ولكنه يعني معاشيته وإعادة إنتاجه لجعله حياً لا مجرد نماذج متحفية صماء أو شواهد قبور. فاستحضار التراث لا يتحقق إلا بإعادة تشكيكه وإعادة إنتاجه بما يوائم المرحلة المعاصرة وباستثماره والنسج على منواله حتى تكون هناك قيمة تفاعلية بين الماضي والحاضر.

والإحساس النوستالجي: أي الحنين إلى الماضي لا يكفي للارتباط ارتباطاً عضوياً وحقيقياً بالضمير الشعبي منذ لحظات تكوينه الأولى وعلى مدى التطور والتفاعل والتغير الذي تعرض له هذا الضمير من عصر إلى عصر.

إن الغرض الأساسي من وراء هذه الولادة الإحيائية هو إعادة إنتاج الماضي كلبنة لإنتاج المستقبل.

فمهم جداً ألا يتوقف الإنسان عن إنتاج الفلكلور وألا يموت التراث الشعبي بتأثير زهق المدنية المعاصرة والتطور التكنولوجي. لذلك نجد مثلاً أن أمريكا تقيم احتفالاً قومياً سنوياً في مدينة جونزبورج Johnsborough بولاية تينيسي Tennessee، وهذه المدينة هي مركز الجمعية الوطنية للرواية الشعبية National Storytelling Association حيث يجتمع الرواة التقليديين من مختلف الولايات ليحكوا على جمهور عريض حكايات قديمة وحديثة بغرض الحفاظ على الأساليب السردية لفن الروي.

لقد ظل الأدب الشعبي ينتقل شفاهاً وعبر قنوات متعددة وغير مرئية ولا مرصودة وكانت دواوينه هي صدور الرواة في المجالس العامة.

وقد لوحظ في هذه المرحلة أنه بالرغم من أن هذه الجماعة من الرواة يتوارثون مكنون التراث عن آبائهم، وبالرغم من أن اعتمادهم في ذلك يقوم في مجمله على التذكر، إلا أن عملية الاسترجاع لا تخلو من إعادة البناء بطريقة مبتكرة أكثر من التردد الحرفي لكل ما تحمله الذاكرة.

لذلك فإن لهذا السرد الشفهي إستراتيجياته التي تتم عن طريق التحدث

قدمت الميثولوجيا الإغريقية لإنسان العصر الفيكتوري المفاتيح الحقيقية لماضي وجدانه الإنساني وكان هذا الارتباط بالأساطير الإغريقية والرومانية والعبرية هو الأساس الذي قام عليه الوجدان الجمعي لأمة الغرب التي اعتبرت تلك الأساطير نماذج حضارية لها جذور ضاربة في عمق تاريخ الإنسان ومن ثم كانت أصولاً رئيسية للثقافة الأوروبية المتحضرة. وبنهاية القرن التاسع عشر لم يعد هناك من يماري في أهمية التراث ودوره في منح الأمة هويتها وحمايتها من الذوبان في الأمم الأخرى.

ولما انتبه النقاد الأدبيون إلى تسرب التراث الشعبي إلى شرايين الأدب الرسمي، أفاقوا إلى طبعة هذا التراث القابلة للغربة وإعادة القراءة وتجديد التأويل والمعالجة بأساليب التحليل المستحدثة، فمضوا يربطون الإنتاج الأدبي الذي يبدهه الأفراد المتميزون القادرون على التعبير باللغة الأدبية المتفوقة بإنتاج الشعب القريب إلى حس العامة ولغتهم.

فكان للأدب الشعبي ولادة خامسة نسميها بالولادة المنهجية حيث اكتمل المنهج الفنلندي على يد أنتي ارني Antti Arne في ١٩١٠ في الدليل الذي وضعه عن (أنماط الحكايات الخرافية وأنواع الحكايات الشعبية)، وتوالت بعدها دراسات المأثورات الشعبية ونقدها وتحليلها وعلى ضوء المدارس النقدية الحديثة.

فبعد التصنيف والتنقيص ومن ثم غربة التراث وتصفيته، أنشأت له المعاهد وألفت فيه الكتب وأقيمت له صحافة خاصة وأصبحت له مدارس واتجاهات معروفة حتى صار مجالاً هاماً في العلوم الإنسانية يليق بالأكاديميين الجادين الاشتغال به.

ومن أهم الدارسين الذين ربطوا بين الأدب والتراث الشعبي العالم الروسي فلاديمير بروب صاحب الكتاب الشهير (مورفولوجيا الحكاية الشعبية) الذي صدر في عام ١٩٢٩

وقد أثبتت دراساته الفلكلورية المقارنة من خلال التصنيف والتبويب أن هناك نوعاً من التوحد في الموثفات الشعبية العالمية. فبتحليل الوحدات البنائية للنص مع إبراز العلامة الحتمية بين بعض الوظائف المزوجة يتشابه المأثور الشعبي غالباً في جميع أنحاء العالم لأن الظروف البيئية المتشابهة تخلق عادة مأثوراً شعبياً متماثلاً.

وأدى البحث في قوانين الصياغة العامة للنص الشعبي إلى أن النص والنص وحده أصبح محور المناهج النقدية الحديثة فكانت النصوص الشعبية مجالاً خصباً لتحليلات المدارس الشكلية والبنوية.

ثم أن الظهور العفوي في بناء القصة الداخلي لرموز فنية باللغة التراث والعمق آثار اهتمام محللو الروايات الشعبية من أتباع كارل جوستاف يونج C.G.Jung

الذين توصلوا إلى إن رمزية الحكاية تكشف حقائق نفسية عميقة مختفية في اللاوعي الجماعي، وإلى أن الرمز الأدبي في محاولته التغلغل في أعماق الإنسان الفرد إنما هو يستعين بموروث هذا الإنسان الفرد باعتباره عضواً في الجماعة للكشف عن طوايا نفسه المختبئة وراء عقلة الواعي المتحكم في سلوكه وتعبيره وفكره.

وبذلك أنهت المدرسة السيكولوجية تلك الفردية المتميزة للمؤلف مرة أخرى بدمج وجدان الفرد صاحب الإبداع بوجودان الجماعة ككل، فمدلولات الرمز الذي

## مدخلات لغوية

### تمحور

.....أبو أوس إبراهيم الشمسان



شاع في الكتابات الصحفية والأدبية النقدية وكذلك بعض الأعمال اللغوية استعمال الفعل الماضي (تمحور) والمضارع منه (يتمحور) واسم الفاعل (تمحور)، ومثال استعمال الماضي ما جاء في تقرير (سنة الجاك) الشرق الأوسط ١٠-٥-٢٠٠٠م: (وتمحورت أبحاث مؤتمر

الوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي في جلسته الأولى حول مناقشة جهود المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجال التعليم العالي عن بعد وعرض الملامح الرئيسية للجامعة العربية المفتوحة، كما نوقشت معايير وضوابط إنشاء الجامعات الخاصة في الوطن العربي). ومثال المضارع ما جاء في كتاب: (جحا العربي) لمحمد رجب النجار، ص ٢٩: (ومما هو جدير بالذكر أن هذه الصفات نفسها تراها تتمحور حول شخصية جحا التركي وتشيح عنه، كما يتمحور هو حولها ويتسم بها).

وجاء اسم الفاعل في بحث (أزمة اللغة ومشكلة التخلف في بنية العقل العربي المعاصر: دراسة في علم اللغة الاجتماعي) لمحمد محمد يونس علي، مجلة جامعة أم القرى، ج ١٧ ع ٢٩، صفر ١٤٢٥هـ: جاء في ملخص البحث عن مظاهر تخلف العقل العربي: (التفكير المتمحور حول الذات (أو تضخم الأنا)، ويتفرع عنه الانتهازية والاستغلال، والدكتاتورية).

وجاء في الخاتمة: (وإيماناً منا بأن التفكير الجيد ليس صفة وراثية، وإنما هو (مهارة يصنعها التدرب)، فإننا ندعو المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية والدينية أن تعمل على تغيير العقلية العربية الطفولية بما تتسم به من نزعة توكليدية متمحورة حول الذات، وتفكير سطحي جزمي، إلى العقلية الراشدة التي تعتمد على الاستقلال الذاتي، وتحركها الروح الجماعية، ويحكمها التفكير العلمي).

والفعل (تمحور) وما اشتق منه مأخوذ من الاسم (محور) وهو من استعمال المحدثين إذ ليس له استعمال في المعجمات ولا كتب التراث اللغوية وغير اللغوية. وهم يعنون بتمحور حول الشيء دار حوله، ولكن الصيغة التي صيغ عليها الفعل لا تدل على هذا المعنى فالفعل جاء على بناء (تَفَعُول) الملحق بالبناء الرباعي (تَفَعَّلَ) وهذا البناء يدل على الصيرورة مثل (تَسَعَدَ) أي صار سعيداً، وهم لا يريدون من تمحور الشيء صار محوراً بل يريدون دار حول محور، ومن أجل ذلك يستعملون (حول). ولعل الخطأ جاء من الترجمة الحرفية للفعل الإنجليزي

(Center upon) كما في: Her entire attention centered on her children). ومن أجل ذلك يحسن أن نستعمل الفعل (دار، يدور) واسم الفاعل (دائر).

- الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب «7987» ثم أرسلها إلى الكود 82244

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتبة «7712» ثم أرسلها إلى الكود 82244